151219 - نبذة عن القاضي عياض رحمه الله .

السؤال

من هو القاضي عياض؟ مؤلف كتاب ﴿الشفا﴾..

الإجابة المفصلة

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد اليحصبي أبو الفضل القاضي المحدث الحافظ ، ولد في "سبتة" من بلاد المغرب الأقصى ، وسمع من مشيختها ، وتفقه ببعضهم ، ورحل إلى الأندلس فأخذ بقرطبة عن أبي الحسين بن سراج وأبي عبد الله بن حمدين وأبي القاسم بن النخاس وابن رشد ، وغيرهم , ورحل منها إلى مرسية فقدمها في غرة صفر سنة 508 ، فتفقه ودرس وتعلم وناظر حتى فاق أقرانه وذاع صيته .
كانت له اليد الطولى في كافة العلوم ، من الحديث والفقه والأصول واللغة وغيرها ، وله المصنفات العديدة ، التي انتفع بها الناس .
قال الفقيه أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكول رحمه الله :
" قدم الأندلس طالبا للعلم ، وأخذ بقرطبة عن القاضي أبي عبد الله مج بن علي ، وغيرهم ، وأجاز له أبو علي الغساني ما رواه ، وأخذ بالمشرق عن القاضي علي حسين بن محمّد الصدفر كثيرا ، وعن غيره ، وعني بلقاء الشيوخ ، والأخذ عنهم ، وجمع من الحديث كثيرا ، وله عناية كبيرة بهم ، واهتم بجمعه وتقييده ، وهو من أهل التفنن في العلم ، والذكاء واليقظة الفهم، واستقضى ببلده مدة طويلة ، فحمدت سيرته فيها ، ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة ، فلم يطل أمده بها ، وقدم علينا قرطبة في ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة ، وأخذنا عنه بعض ما عنده " انتهى .
"الصلة" (ص 146) – "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض" (ص 240)

وقال ابن الأبار رحمه الله :
" كان لا يُدرك شأْوُه ، ولا يُبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث ، وتقييد الآثار ، وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه ، والتصرف الكامل في فهم معانيه ، إلى اضطلاعه بالآداب ، وتحققه بالنظم والنثر ، ومهارته في الفقه ، ومشاركته في اللغة والعربية .

وبالجملة : فكان جمال العصر ، ومفخر الأفق ، وينبوع المعرفة ، ومعدن الإفادة ، وإذا

عدت رجالات المغرب . فضلا عن الأندلس . حسب فيهم صدرا ، وله تواليف مفيدة كتبها الناس وانتفعوا بها وكثر استعمال كل طائفة لها .

وولي قضاء بلده مدة طويلة ، ثم نقل إلى قضاء غرناطة فلم يطل مقامه بها ، وأعيد إلى سبتة ثانية ، ومنها أشخص إلى مراكش وفيها توفي مغربا عن وطنه يوم الجمعة السابع من جمادى الآخرة سنة 544 ، ودفن بباب إيلان داخل المدينة ومولده منتصف شعبان سنة 476 "انتهى.

"المعجم في أصحاب القاضي الصدفي" (ص 295-296)

وقال الذهبي رحمه الله في ترجمته من "السير"
(39/205-206) :

" الإِمَامُ العَلاَّمَةُ الحَافِظُ الأَوْحَدُ شَيْخُ الإِسْلاَمِ القَاضِي أَبُو الفَضْلِ عِيَاضُ بنُ مُوْسَى بنِ عِيَاضِ بنِ عَمْرِو بنِ مُوْسَى بنِ عِيَاضٍ اليَحْصَبيُّ الأَنْدَلُسِيُّ ثُمَّ السَّبْتِيُّ المَالِكِيُّ .

وُلِدَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ .

تَحَوَّل جَدّهُم مِنَ الأَنْدَلُس إِلَى فَاس ، ثُمَّ سَكَنَ سَبْتَة .

لَمْ يَحمل القَاضِي العِلْم فِي الحدَاثَة ، وَأَوّل شَيْء أَخَذَ عَنِ الحَافِظ أَبِي عَلِيٍّ الغَسَّانِيّ إِجَازَة مُجرَّدَة ، رحل إِلَى الأَنْدَلُسِ سَنَة بِضْع وَخَمْس مائَة ، وَرَوَى عَنِ القَاضِي أَبِي عَلِيٍّ بنِ سُكَّرَةَ الصَّدَفِيّ وَلاَزمه ، وَعَنْ أَبِي بَحْر بن العَاصِ ، وَمُحَمَّد بن حمدين ، وَأَبِي الحُسَيْنِ سرَاج الضَّغِيْر ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ بنِ عَتَّابٍ ، وَهِشَامِ بنِ أَحْمَدَ ، وَعِدَّةٍ .

وَتَفَقَّهَ بِأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ عِيْسَى التَّمِيْمِيِّ ، وَالقَاضِي مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ المَسِيْلِيِّ .

وَاستبحر مِنَ العُلُوْم ، وَجَمَعَ ، وَأَلَّفَ ، وَسَارَتْ بِتَصَانِيْفِهِ الرُّكبَانُ ، وَاشْتُهِرَ اسْمُهُ فِي الآفَاق .

وَقَالَ الفَقِيْه مُحَمَّد بن حَمَّاده السَّبْتِيُّ : جلس القَاضِي لِلمُنَاظَرَةِ وَلَهُ نَحْوٌ مِنْ ثَمَانٍ وَعِشْرِيْنَ سَنَةً ، وَوَلِيَ القَضَاءَ وَلَهُ خَمْس وَثَلاَثُوْنَ سَنَةً ، كَانَ هَيِّناً مِنْ غَيْرِ ضَعفٍ ، صَلِيْباً فِي الحَقِّ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِسَبْتَةَ فِي عصرٍ أَكْثَرَ تَوَالِيفَ مِنْ تَوَالِيْفِهِ ، لَهُ كِتَاب (الشفَا فِي شرف المُصْطَفَى)

مُجَلَّد ، وَكِتَاب (تَرْتِيْب المدَارك وَتَقْرِيْب المسَالك فِي ذكرِ فُقَهَاء مَذْهَب مَالِك) فِي مُجَلَّدَات ، وَكِتَاب (العقيدَة) ، وَكِتَاب (شرح حَدِيْث أُمِّ زرع) ، وَكِتَاب (جَامِع التَّارِيْخ) الَّذِي أَربَى عَلَى جَمِيْع المُؤلفَات ، جَمعَ فِيْهِ أَخْبَار مُلُوْك الأَنْدَلُس وَالمَغْرِب ، وَاسْتَوْعَبَ فِيْهِ أَخْبَار سَبتَةَ وَعُلَمَاءهَا ، وَلَهُ كِتَاب (مشَارقِ الأَنوَار فِي اقتفَاء صَحِيْح الآثَارِ) إِلَى أَنْ قَالَ :

وَحَاز مِنَ الرِّئَاسَة فِي بلدِه وَالرّفعَة مَا لَمْ يَصل إِلَيْهِ أَحَد قَطُّ مِنْ أَهْلِ بلده ، وَمَا زَاده ذَلِكَ إِلاَّ تَوَاضعاً وَخَشْيَة للهِ تَعَالَى ، وَلَهُ مِنَ المُؤلفَات الصّغَار أَشيَاءُ لَمْ نَذكرهَا .

قَالَ القَاضِي شَمْس الدِّيْنِ فِي (وَفِيَات الأَعيَان) : هُوَ إِمَام الحَدِيْث فِي وَقْتِهِ، وَأَعْرفُ النَّاس بِعُلُوْمِهِ ، وَبِالنَّحْوِ ، وَاللُّغَةِ ، وَكَلاَمِ العَرَبِ ، وَأَيَّامهِم ، وَأَنسَابِهِم ، وَكُلّ تَوَالِيْفِهِ بَدِيْعَة ، وَلَهُ شعر حسن .

قُلْتُ – أي الذهبي – : تَوَالِيفه نَفِيْسَة ، وَأَجلهَا وَأَشرفهَا كِتَاب (الشفَا) لَوْلاَ مَا قَدْ حشَاه بِالأَحَادِيْث المفتعلَة ، عَمَلَ إِمَامٍ لاَ نَقد لَهُ فِي فَن الحَدِيْث وَلاَ ذوق ، وَاللهُ يُثيبه عَلَى حسن قصدهِ ، وَيَنْفَع بِ (شِفَائِهِ) وَقَدْ فَعَلَ ، وَكَذَا فِيْهِ مِنَ التَّأْوِيْلاَت البعيدَة أَلوَان ، وَنبينَا – صَلَوَاتُ اللهُ عَلَيْهِ وَسلاَمه – غنِيٌّ بِمدحَة التنزِيل عَنِ الأَحَادِيْث ، وَبِمَا تَوَاتر مِنَ الأَخْبَار عَنِ الآحَاد ، وَبِالآحَاد النّظيفَة الأَسَانِيْد عَنِ الوَاهيَات ، فَلِمَاذَا يَا قَوْم نَتشبع بِالمَوْضُوْعَات ؟ فَيتطرق إِلَيْنَا مَقَالُ ذَوِي الغل وَالحسد ، وَلَكِن مَنْ لاَ يَعلم معذور .

وَقَدْ حَدَّثَ عَنِ القَاضِي خلق مِنَ العُلَمَاءِ ، مِنْهُم : الإِمَام عَبْد اللهِ بن مُحَمَّدٍ الأَشِيْرِيّ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ بنُ القَصِيْر الغَرْنَاطِي ، وَالحَافِظ خَلَف بن بَشْكُوَال ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ بنُ عُبَيْدِ اللهِ الحَجْرِيّ ، وَمُحَمَّد بن الحَسَنِ الجَابِرِي ، وَوَلَده القَاضِي مُحَمَّد بن عِيَاضٍ قَاضِي دَانِيَة " انتهى .

وينظر للاستزادة : "تذكرة الحفاظ" (4 / 68) – "تاريخ قضاة الاندلس" (ص 101) – "طبقات النسابين" (ص 20) – "وفيات الأعيان" (3 / 483) .